International Journal of Arabic Linguistics

الإبداع العامي عند مسناوي ودانتي

أحمد الشارفي

Ahmed Ech-Charfi

جامعة محمد الخامس – الرباط

ملخص:

تقيم هذه الورقة مقارنة بين آراء الزجال المغربي المعاصر إدريس أمغار مسناوي وآراء الشاعر الإيطالي دانتي أليغيري بخصوص اعتماد العامية في الإبداع الأدبي كما وردت في كتاباتهما النثرية. والهدف من هذه المقارنة هي رصد دور الإبداع والمبدعين في مساءلة لغة الكتابة في حالة الازدواج. ففي هذه الحالة، تكون اللغة الفصحى هي وسيلة التعبير المعتمدة في الآداب الراقية بينما تبقى العامية مرتبطة بالأدب الشفهي والطبقات الشعبية التي تستهلكه. غير أن مبدعين أمثال مسناوي ودانتي يعيدون النظر في هذا الأمر، مفضلين العامية على الفصحى. وهما يفعلان ذلك ليس فقط من خلال الأعمال الإبداعية، ولكن كذلك من خلال التنظير. فهذه الورقة، إذن، مساهمة في آليات التحول من الازدواج إلى الأحادية اللغوية.

Abstract:

This paper compares works by two poets who composed poetry in their colloquial varieties: the modern Moroccan poet and novelist Driss Messnaoui and the medieval Italian poet Dante Alighieri. In addition to their creative writings, these poets also wrote works of literary criticism in which they discussed the issue of language and which variety serves poetry composition best: the standard or the colloquial. They both express their preference for the colloquial, providing arguments that seem strikingly similar in many respects, although they lived in different historical periods and in different cultures. What unites them is the diglossic situation in which they found themselves in. this paper, therefore, is a comparative study of some of the internal factors that drive sociolinguistic change from diglossia to standard-with-dialects.

Keywords: diglossia, colloquial poetry, Mesnaoui, Dante,

يشترك الشاعران والمبدعان الشهيران إدريس أمغار مسناوي ودانتي أليغيري في بعض النواحي كما يختلفان في نواحي أخرى. ونظرا للحيز الضيق لهذا المقال، سنركز على ثلاث مجالات وننظر في نقاط التشابه والاختلاف بين هذين المبدعين، كما نحاول أن نُرجع ذلك إلى عوامل موضوعية أطرت أعمالهما. وهذه المجالات الثلاث هي: أولا، كلاهما وجد نفسه في وضعية ازدواج لغوي تختلف فيها لغة الكتابة والقراءة عن لغة التواصل اليومي؛ ثانيا، كلاهما اختار أن يجعل من اللسان الدارج وسيلة لإبداعه وتدوين ذلك الإبداع على عكس ما كان عليه الوضع العام؛ وثالثا، كلاهما حاول التنظير للإبداع العامي من خلال كتابات واعية عن اللغة الدارجة والأشكال الأدبية المرتبطة بها وما إلى ذلك. وفي هذا المقال، ستنصب المقارنة أساسا على عملين نثريين خصصهما صاحباهما للنظر في هذه القضايا، وهما "أسئلة السفر أو سفر الأسئلة" لمسناوي، وخاصة الفصل الأول منه المعنون ب 'السفر ف اللغة'، و " De Vulgari Eloquentia" أو "عن فصاحة اللسان الدارج" لدانتي. لكن قبل عقد هذه المقارنة، سنبدأ أولا بتعريف مقتضب للازدواج اللغوي نظرا لخصوصية الصعوبات التي يطرحها على المبدع عامة، والتي ليس لها نظير في الوضعيات السوسيولسانة المختلفة؛ ثم بعد ذلك ننكب على أوجه التشابه والاختلاف بين الكاتبين بخصوص مغزى الإبداع العامي والهوية اللغوية للجماعة وطبيعة الدارجة الفصيحة وعلاقة هذه الدارجة باللغة المعيار.

1- في معنى الازدواج اللغوي

الازدواج هو المصطلح العربي الذي يقابل نظيره الفرنسي "diglossie" أو الانجليزي "diglossia". وقد اشتهر هذا المفهوم بين علماء اللغة الاجتماعيين بعد المقال الشهير المعنون بهذا الاسم والمنشور سنة 1959 لصاحبه فيرغوسن لما وجدوا في الظاهرة من علاقة بين اللغة والمجتمع. فحالات الازدواج اللغوي تتميز أساسا بوجود منوعتين للغة الواحدة تتساكنان معا في الجماعة اللغوية الواحدة، دون أن تلغي إحداهما الأخرى. وقد انصب اهتمام هؤلاء العلماء على الأسباب التي تدفع الجماعات الازدواجية إلى الاحتفاظ بمنوعتين لغويتين رغم ما يتطلبه تعلمهما واستعمالهما من جهد وموارد مالية، ورغم ما ينتج عن هذه الوضعية من مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية مثل انتشار الأمية وانخراط القطر في صراعات وقضايا الجماعة اللغوية الكبيرة رغم انعكاساتها السلبية على ذلك القطر، وما إلى ذلك. كما اهتموا كذلك بالظروف والأسباب التي ينتج عنها الازدواج، وتلك التي تؤدي إلى زواله والوضعيات السوسيولغوية التي يؤول إليها (أنظر Ferguson, 1991).

رغم أن كثيرا من المجتمعات، في الماضي كما في الحاضر، عرفت وضعية الازدواج، إلا أن فيرغوسن ركز على أربع حالات من العصر المعاصر لاستنباط الخصائص المميزة لهذه الظاهرة. وهذه الحالات هي العالم العربي واليونان وسويسرا الألمانية وهايتي. إن ما يميز هذه المجتمعات من الناحية اللغوية هو تمييزها بين لغة الكتابة والقراءة والخطابات الرسمية وما شابه ذلك، وبين لغة التواصل اليومي سواء بين عامة الناس أو بين خاصتهم. فكما هي الحال في المجتمعات العربية، عرفت اليونان منذ القرن التاسع عشر منوعة معيار تسمى كاثاريفوسا (أي اللغة النقية أو الفصيحة) وأخرى دارجة تسمى ذيموتيكي (أي لغة العامة). كما أن السويسريين الألمان يعتمدون لغة ألمانية شبيهة بتلك التي تُتداول في ألمانيا أو النامسا عندما يتعلق الأمر بالوظائف العالِمة، ويستعملون لهجات ألمانية متنوعة في تواصلهم اليومي. أما هايتي، فإن اللغة الرسمية فيها هي الفرنسية في حين أن الكريول (وهي لغة هجينة تعتمد المعجم الفرنسي) تضطلع بالوظائف التواصلية العادية. وبناء على هذه الأمثلة الأربع، صاغ فيرغوسن التعريف التالي للازدواج:[1]

الازدواج وضعية لغوية مستقرة نسبياً حيث توجد إلى جانب اللهجات المتداولة [...]، منوعة معيار مختلفة وفوقية (بنحو عادة ما يكون أكثر تعقيداً)، ولها تراث غني ويثير الإعجاب، كُتِب إما في مرحلة سابقة أو من طرف جماعة لغوية أخرى، ويتعلم الأفراد هذه المنوعة غالباً من خلال التعليم النظامي ويستعملونها للكتابة والتحاور في السياقات الرسمية دون أن يكون منهم من يستعملها للتواصل اليومي في الأغراض العادية.

يوجد في هذا التعريف تسع مميزات للازدواج اللغوي ينفرد بها عن غيره من الوضعيات السوسيولغوية، غير أننا سنقتصر على أربعة منها لما لها من علاقة بموضوع هذا المقال، وهذه المميزات الأربعة هي الاكتساب والوظيفة والإرث الأدبي والمنزلة.

بخصوص الاكتساب، تتميز الدارجة (أو المنوعة الدنيا) بكونها تُكتسب من المحيط الاجتماعي وبشكل طبيعي على عكس المعيار (أو المنوعة العليا) التي تحتاج إلى تلقين نظامي، وعادة ما يتطلب تعلمها سنوات طوالا من الجهد والمثابرة. ومع ذلك، قليل من الطلاب يستطيع أن يزعم أنه متمكن تماما من المنوعة العليا قراءة وكتابة وحديثا وسمعا. فالدارجة، إذن، هي اللغة الأم لأنها تشكل النظام اللغوي الأول الذي تُبنى عليه كل الأنظمة اللغوية اللاحقة. هذا بالنسبة للذين نالوا حظا من لغة ثانية أو ثالثة أو ما فوق ذلك؛ أما باقي أفراد الجماعة، فإن المنوعة الدنيا تبقى هي الوسيلة الوحيدة للتواصل. وعلى خلاف الازدواج، فإن اللغة المعيار في الوضعيات المغايرة لا تختلف كثيرا عن اللهجات المحلية؛ وحتى عند وجود اختلاف ملحوظ، فإن هناك دائما جماعة تتخذ من المعيار لغة في تواصلها اليومي، فيكتسبها الأبناء عن الآباء كلغة أم. فالانجليزية المعيار،

[1] هذه الترجمة مأخوذة عن الشارفي (2017)

مثلا، تُكتسب كلغة أم في العاصمة لندن وجنوب البلاد عامة، كما أن الفرنسية المعيار ارتبطت منذ نشأتها بباريس ومنطقتها. فالمنوعة المعيار في مثل هذه المجتمعات عادة ما ترتبط بجماعة لها تأثير سياسي واقتصادي وثقافي وغير ذلك؛ وعلى الأقل بين أفراد هذه الجماعة، لا تختلف لغة القراءة والكتابة عن لغة التواصل اليومي إلا في الأسلوب وبعض المفردات المتخصصة أو ما شابه ذلك. أما الاختلاف بين المنوعة العليا والمنوعة الدنيا في حالة الازدواج، فإنه يكون ظاهرا لأفراد الجماعة كما لغيرهم من الأجانب. ويظهر الاختلاف في طرق اكتسابهما كما يؤثر في الآن ذاته على وظائف المنوعتين. فمن حيث نسبة الاستعمال، تنفرد المنوعة الدنيا بحيز كبير من التداول ذلك لأنها هي الوسيلة المثلى للتواصل العفوي؛ أما المنوعة العليا، فإنها تختص بالوظائف التي يمكن أن تُنعت بالعالِمة من قبيل الخطبة الدينية أو السياسية والمحاضرة الجامعية ونشرة الأخبار وغيرها حيث يغلب طابع الإلقاء وتغيب العفوية. وتبقى القراءة والكتابة المجالين الخاصين بالمنوعة العليا بامتياز إذ يكاد هذان النشاطان يقتصران عليها؛ أما المنوعة الدنيا فلا يكاد يكتب بها شيء. ويستشعر المتعلمون الأجانب هذا التوزيع في الوظائف أكثر من غيرهم، إذ لو اكتفوا بتعلم العربية الفصحى، مثلا، لأدركوا حينا أنها لا تفيدهم في الحديث إلى الناس في الحياة اليومية؛ ولو اكتفوا بتعلم الدارجة لما أفادتهم في قراءة الكتب أو الصحف أو غير ذلك مما يعتمد الفصحى لغة للتواصل.

وينتج عن هذا التوزيع في الوظائف (أو لعل هذا التوزيع ناتج عن) اختلاف في التراث الأدبي وفي منزلة المنوعتين. فالمنوعة العليا في كل حالات الازدواج تتمتع بإرث أدبي مكتوب يعد مفخرة لها وللجماعة، في حين أن المنوعة الدنيا لا تعرف سوى أدبا شفهيا عادة ما يُنسى مع زوال الجيل الذي أنتجه أو الأجيال القليلة اللاحقة. ففي حالة العربية واليونانية، تراكم ذلك الإرث الأدبي عبر القرون المتعاقبة في مختلف فروع المعرفة، فارتبطت به هوية الجماعة حتى غدا كل تهديد لذلك التراث تهديدا لكيان الجماعة. وبفضل هذا التراث، تكتسب المنوعة المعيار منزلة عالية لا تكاد تضاهيها منزلة أي لغة أخرى. فعند العرب، مثلا، تعد الفصحى أجمل وأغنى وأوسع وأقدم اللغات، بل منهم من اعتبرها لغة أهل الجنة (أنظر 'المزهر' للسيوطي). أما العاميات العربية، فإنها عادة ما يتم تجاهلها أو احتقارها باعتبار أنها ليست سوى لهجة تفتقد للقواعد النحوية أو هي مجرد صيغة مشوهة للفصحى. وهذا الأمر عام بين الجماعات الازدواجية ولا يقتصر على العالم العربي. وقد ذكر فيرغوسن، مثلا، أنه لما ظهرت أول ترجمة للإنجيل بالعامية اليونانية (ذيموتيكي) سنة 1903، خرج الناس في مظاهرات حاشدة منددين بهذا الفعل الذي اعتبروه شنيعا؛ فالعامية في نظرهم تدنس كتاب الله.

في ظل هذا الوضع السوسيولغوي نشأ كل من إدريس مسناوي ودانتي أليغري. إن القارئ العربي يعلم جيدا هذا الأمر ولا يحتاج إلى مزيد من التفصيل. وإذا أراد أن يفهم الوضع اللغوي في أوروبا الوسيطة، ما

عليه إلا أن يقيسه على وضعه الراهن. لقد كانت اللاتينية لغة للعلوم والآداب منذ العصر الروماني الكلاسيكي، وارتبطت بكتاب وشعراء كبار مثل سيسيرو وفيرجيل وأوفيد وهوراس وغيرهم، إلى جانب الترجمة اللاتينية للإنجيل وما تعلق به من كتابات شرعية. أما اللهجات، فإنها كانت تشكل متصلا ممتدا من جنوب بلجيكا الحالية إلى جنوب إيطاليا وأسبانيا والبرتغال، وكانت تسمى لهجات العامة " dialectes vulgaires" دون تخصيص، إذ لم تكن اللغات الأوروبية الحالية قد ولدت بعد. ورغم المنزلة الدنيا للهجات مقارنة بالمكانة الرفيعة للفصحى، لاتينية كانت أم عربية، اختار دانتي ومسناوي أن يكتبا بالمنوعة الدنيا، مفضلين إياها على المنوعة العليا. فما هي الأسباب التي تقف وراء هذه المغامرة؟ وما هي المعاني التي أعطاها لهذا الاختيار، سواء من الناحية الإبداعية المحضة أو من الناحية السياسية والاجتماعية؟ هذه بعض الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في ما تبقى من هذا المقال.

2- في مغزى الإبداع العامي

لا يهمنا في هذا المقام الدوافع والمعاني التي يمكن للمؤرخ أو لعالم الاجتماع أن يستشفها من خلال المقارنة بين حالات متعددة لهذا الانتقال من استعمال المنوعة العليا إلى استبدالها بالمنوعة الدنيا، فهذا قد يأتي في فترة لاحقة. إنما سنقتصر عليه في هذه الورقة هي الدوافع التي يوردها مسناوي ودانتي في مؤلفيهما المذكورين سالفا، ومقارنة آرائهما بحثا عن نقاط التشابه والاختلاف بينهما قبل أن نجازف بتفسير تلك النقاط.

إن المتصفح لكتاب "أسئلة السفر أو سفر الأسئلة" و "De Vulgari Eloquentia " ليعجب للتطابق الذي يكاد يكون تاما بين ما يراه دانتي داعيا لاستعمال العامية في الأدب وما يذهب إليه مسناوي بهذا الخصوص. فدانتي يبدأ مؤلفه منذ الفصل الأول بشرح ما يقصده ب "اللسان العامي" ويعرفه على أنه "**ذاك الذي يكتسبه الأطفال من محيطهم حينما يبدؤون بتمييز الأصوات؛ وبتعبير أدق، فاللسان العامي هو الذي نتعلمه من غير تمدرس من خلال تقليدنا لمربينا**"[2](ص. 3). ولما كانت الأشياء تُعرف بضدها، فقد سارع دانتي إلى مقارنة العامية بما يسميه الرومان "grammatica"، وهي اللغة التي قعد لها النحاة قواعد أصبحت تُعتمد في تعليمها وتعلمها، أي اللغة اللاتينية. ثم أضاف أن هناك أمم أخرى غير الرومان تعرف هذا التمييز، كالإغريق مثلا، ولاحظ أن عند كل هذه الأمم، قليل من يستطيع أن يتمكن تمكنا تاما من هذا النوع الثاني من اللغة المقعدة. وعند المقارنة بين المنوعتين، لا يتردد دانتي في القول بأن "**العامية أنبل ذلك لأنها هي أول ما يتعلمه الناس، وثانيا لأنها شائعة بين أفراد الجماعة كلها رغم اختلاف في النطق أو بعض المفردات، وثالثا لأننا نستعملها بالسليقة في حين أن استعمالنا للثانية غير سليقي**" (ص. 3). وإذا كانت هذه الأسباب

[2] كل الترجمات العربية للنصوص المقتبسة من مؤلف دانتي والواردة في هذا المقال من وضعي.

واضحة وبديهية إلى حد ما، فإن السبب الثالث ينبني على رؤية خاصة للغة الأصل كانت سائدة في العالم المسيحي سنرجع إليها بعد قليل.

ويبدو أن مسناوي بدوره يعزو اختياره للدارجة المغربية لأسباب مشابهة. فهو مثلا يجيب عن سؤاله **"علاش بالضبط اللغة الدارجة؟"** بقوله **"من حيت هي اللغة الأم، اللغة الحية، اللغة الفعالة الفاعلة اللي تاتكلم بها الأغلبية الساحقة فالأقطار العربية، لأنها تاتجمع المعلم والأمي على مايدة وحدة. لأنها اللغة اللي نبتت وسطهم، على لسانهم قبل ما تزهر على شفايفهم، لأنها هي لسان الحال. لأنها كذلك لغة العلم. منهنا كانت ضروريتها الأساسية"** (ص. 34). ففي هذه الفقرة المقتضبة توجد كل العناصر التي استدل بها دانتي في فقرة جاءت بدورها مقتضبة ومباشرة. فالدوارج العربية هي اللغات الأم بالمعنى الذي أعطاه إياها دانتي، أي تلك التي يتعلمها الفرد من مربيه ومحيطه بطريقة عفوية دون حاجة إلى معلم. وبذلك، فإنها تكون في متناول المتعلمين والأميين، فيخاطب بعضهم بعضا دون تكلف أو تصنع، ويفهم الواحد منهم الآخر أكثر وأفضل مما لو استعمل الفصحى. وليس صعبا أن نصل إلى الدواعي التي جعلت مسناوي ودانتي يجيبان عن هذا السؤال بشكل مباشر، أو حتى طرحه أصلا. ففي المجتمعات الازدواجية، حيث الوظائف موزعة بين المنوعتين العليا والدنيا، يعتبر كل خروج عن تلك الأعراف مدعاة للتساؤل. ودانتي ومسناوي لاشك استشعرا ذلك فبادرا إلى الإجابة لتبرير ما أقدما عليه.

لابد أن نقف هنا على بعض المعطيات التاريخية. قد يعتقد القارئ أن مسناوي جزء من الحركة السياسية التي عرفها المغرب مع مطلع الألفية الثالثة الداعية إلى اعتماد الدارجة لغة للكتابة والقراءة خاصة في ميدان التربية والتعليم، وهي الحركة التي ارتبطت أكثر باسم نبيل عيوش وزملائه. ولذلك، فإنه يختلف عن دانتي الذي يبدو أنه كان منشغلا بالإبداع فقط، ولم تكن آراؤه تحمل في طياتها أهدافا سياسية . والحقيقة أن مسناوي لم يرتبط قط بهذه الحركة[3]، بل بدأ حياته الإبداعية، كما هو معروف، كزجال في سبعينيات القرن الماضي. وحتى "أسئلة السفر" الذي اعتمدنا عليه في هذه الورقة، انتهى من تأليفه قبل أن تبدأ الدعوة إلى الدارجة في الظهور بزمن غير قصير. وفي هذا المؤلف، يسأل نفسه هل اختار الدارجة كهدف، ويجيب: **"لا. اختاريتها وسيله ... سفر. والزجل هو المقصود"** (ص. 34). فاللغة، إذن، ليست سوى أداة من أدوات التجريب التي يحاول المبدع من خلالها التعبير عن مراده وإبلاغه للسامع أو القارئ بصيغة تؤثر فيه بشكل أفضل. وفي هذا الأمر، لا يبدو مسناوي مختلفا في همومه عن دانتي.

[3] اعتمدت هنا على معرفتي الشخصية بالكاتب وما رواه لي بهذا الخصوص.

بطبيعة الحال، لا يمكن أن نستبعد وجود هموم اجتماعية عند الشاعرين تقف وراء اختيارهما للعامية. فقد جاء في "أسئلة السفر"، مثلا، أن للدارجة وظائف اجتماعية وتربوية وعلمية وفنية وسياسية قد تقصر الفصحى عن أدائها. فيكتب مسناوي، مثلا:

بها تكتلنا، وبها نشرنا الوعي وحرضنا وحاربنا الاستعمار. وبها تعلم الأمي الصنعة وطور حرفته، بها ربت الأم أبنائها تربية حسنه، بها ابدعنا البارح وتانبدعوا اليوم. حيث أنها من المجتمع للمجتمع، من الشعب للشعب، م الإنسان للإنسان، فهي كما تاتساهم ف تربيته وف تعليمه وتكوينه من صغره، تاتساهم كذلك ف تحسين ظروفه المعيشيه وف تحسين علاقته الاجتماعيه وتاتنمي وعيه وهي تاتحفزه لما فيه الصالح العام (ص. 40).

إن ما ينم عنه هذا النص هو رفض الكاتب لتهميش الفئات التي لم تحض بنصيب معقول من التعليم يمكنها من متابعة ما يدور بين الفئات المحظوظة من المجتمع. وسواء كان عن وعي أو من دون وعي، فإن هذا القول يحمل الفصحى بشكل غير مباشر جزءا من المسؤولية في معاناة الفئات غير المتعلمة، ذلك لأن الحراك الاجتماعي يتطلب التعليم، والتعليم في المجتمعات الازدواجية لا يتم إلا من خلال الفصحى. فاعتماد العامية، إذن، هو وقوف إلى جانب المستضعفين والأميين وعدم إقصائهم من حياة العلم والأدب الذي يبقى حكرا على قلة قليلة ممن أتيحت لهم فرصة التعليم. ولعل هذا الذي جعل مسناوي يقول أن **"اللغة الدارجة هي لغة الواقع، من تمه تايتعين أنها تكون تاتحمل مضامين جديده لخلق وعي جماعي جديد حتى ترد الاعتبار للذات، وتأكد شروط وجودها ووجوده"** (ص. 41). وفي موضع آخر، يؤكد بأن **"اللغة الدارجة هي فالأساس لغة ثوريه (لكتابه بها عندها أكثر من دلاله)"** (ص. 34). ولعل دانتي بدوره كان يحمل بعضا من هذه الأفكار الرافضة لعزل العامة وإبعادها عن حياة الأدب والفن من خلال اعتماد لغة لا يفهمها إلا الخاصة. فعندما يصرح بأن أحد الأسباب لاعتماد العامية هو كونها شائعة بين الناس، فإنه يعبر عن رفضه للأدب النخبوي الذي لا يستهدف سوى أقلية قليلة من المجتمع، ويفضل عوض ذلك أن يخاطب كافة الناس بما يفهمونه.

وفي علاقة بهذه المسألة، ميز دانتي كذلك بين اللغة الطبيعية واللغة المصطنعة، ولهذا التمييز أصل في التفكير الديني المسيحي. فقد جاء في التوراة (سفر التكوين)، كما هو الأمر في القرءان، أن البشر ينحدرون من زوج واحد يتألف من آدم وحواء الذين سكنا الجنة قبل أن يهبطا إلى الأرض لما غضب الله عليهما. وجاء في سفر التكوين كذلك أن الله علم آدم أسماء الأشياء، مما يدل على أن الزوجين كانت لهما لغة هي أصل اللغات التي سادت بين ذريته من بعده. كما جاء فيه أن تلك اللغة بقيت على حالها من غير تغيير أو تبديل إلى أن ورثها أبناء نوح بعد الطوفان. غير أنه لما قرر البشر أن يبنوا قلعة عالية لبلوغ السماء، غضب الله عليهم وشتت شملهم وبلبل ألسنتهم حتى يتعذر التفاهم فيما بينهم ولا يقدموا على فعل مماثل بعد ذلك. ومن

الأسئلة التي انشغل بها الفكر الأوروبي الوسيط هي البحث عن تلك اللغة الأصل التي انحدرت منها باقي اللغات. ورغم أن كثيرا من أهل النظر في ذلك الزمان، بما فيهم دانتي نفسه، انتهوا إلى أن العبرية هي أصل اللغات، إلا أن ذلك لم يمنعهم من القول بأن جزءا طبيعيا بقي عالقا باللغات البشرية بعد التبلبل. وقد احتج دانتي في تحليله المطول لهذه المسألة أن هذه العناصر الأصيلة لا توجد إلا في اللغات الأقرب إلى طبيعة البشر، أي تلك التي يكتسبها من محيطه من غير معلم أو مدرسة. وعندما اختار دانتي أن يكتب شعرا بالعامية، فقد رأى بأن ذلك سيجعل الشعر أقرب إلى طبيعة الإنسان، ليس فقط بالنسبة للشاعر، بل للقارئ أو السامع أيضا. أما المعيار، فإنها ابتعدت كثيرا عن طبيعة اللغات بفعل تدخل البشر في صياغة بنيتها وتحديد معاني ألفاظها من خلال كتب النحو والمعاجم حتى غدت قاصرة عن التعبير عن الطبيعة البشرية. قد تكون هذه الحجة غير مقنعة للقراء المعاصرين، غير أنها، على ما يبدو، كانت مقنعة لجمهور دانتي وقرائه لفترة طويلة بعد وفاته.

إن القول بأن العامية طبيعية لأنها أقرب إلى وجدان كل الناس، بخلاف اللغة المعيار التي لا يتم التمكن منها إلا من خلال الدرس والتحصيل، قول نجده عند دانتي كما نجده عند مسناوي. غير أن هناك اختلاف بينهما بخصوص ما يمكن أن ينتج عن هذه الملاحظة التي تبدو بديهية. فدانتي لم يكتب بالعامية سوى أشعاره، وأشهرها الكوميديا الإلهية، وكتب النثر باللاتينية، بما في ذلك De Vulgari Eloquentia . ورغم أنه لم يذكر شيئا في كتابه عن كتابة النثر وعن أي ضرب من اللغات أليق به، إلا أننا يمكن أن نستخلص من اختياره اللاتينية لكتابة مؤلفه هذا، ومن تركيزه فيه على لغة الشعر فقط، أنه كان يميز بين الجنسين، وأن ما ذهب إليه بخصوص اللغة يهم كتابة الشعر أكثر مما يهم النثر. أما مسناوي، فإنه بدوره أيضا انشغل بالزجل وبتطويع الدارجة لأغراضه، لكنه سرعان ما بدأ يجرب بعض الأجناس النثرية الأخرى كالرواية والمقال الأدبي الذي يمكن إدراج "أسئلة السفر" ضمنه. فالدارجة بالنسبة إليه غير قاصرة عن أداء كل الوظائف التواصلية؛ ولذلك نجده يصفها في أكثر من موضع بأنها لغة العلم كذلك. فمسناوي، إذن، ذهب أبعد مما ذهب إليه دانتي بخصوص الوظائف الأدبية التي يمكن أن تُسند للعامية. فالشعر، كما هو معروف، له أصل في الشفهية ولا غرابة أن نجده مرتبطا في كثير من الثقافات بلغة العامة. أما النثر، فإنه لم يظهر إلا مع ظهور الكتابة والتدوين، وهما مرتبطان بالتعبير: تعبير الرموز وقواعد الإملاء حتى تتم قراءتها بشكل صحيح، وتعبير اللغة كذلك حتى يكون التواصل فعالا. والغريب أن مسناوي صاغ هذه الأفكار والرؤى ووضعها قيد التطبيق دون أن يعبر عن توجهات مناهضة للفصحى أو داعية إلى استبدالها بالدارجة؛ وحتى عندما تبلورت مثل هذه الدعوة في بعض الأوساط السياسية والثقافية، لم يرتبط بها ولا أعلن دعمه لها. ولذلك، نجد الباحثين

يعنون بأعماله دون أن يتعرض لأي هجوم مثلما تعرض له الداعون إلى اعتماد الدارجة في بعض الوظائف التربوية أو العلمية.

ورغم أن مسناوي ودانتي اهتما أساسا بالاستعمال الأدبي للعامية، إلا أنهما كذلك كانا يسندان لها أدوارا سياسية سواء كان ذلك بوعي تام أو من دون وعي؛ وهذا ما سنتطرق له في الفقرة التالية.

3- في الهوية اللغوية للجماعة

في حالات الازدواج اللغوي، عادة ما تكون المنوعة الدنيا مرتبطة بجماعة أصغر من تلك التي تحددها المنوعة العليا. فالدوارج العربية، مثلا، ترتبط بجهات محلية أو قبائل أو حتى أقطار، أما الفصحى فإنها فوق هذه التقسيمات جميعا؛ بل هي التي تعرَف الأمة العربية، ولولاها لما أمكن لهذا الكيان المتخيل أن يوجد (أنظر Suleiman, 2003). إن الباحثين في التحول اللغوي من المنوعة العليا إلى المنوعة الدنيا ينشغلون بالأسباب الموضوعية والذاتية التي تُحدث مثل هذا التحول والنتائج التي تترتب عنه في مختلف مناحي الحياة.

ومن الأمثلة المشهورة على هذا التحول ذاك الذي شهدته اللغة السانسكريتية في الهند وجنوب شرق آسيا (أنظر Pollock, 2006). فهذه اللغة ارتبطت أولا بالديانة الهندوسية ثم بعد ذلك بالبوذية والجاينية، لكنها أصبحت كذلك لغة للآداب والفلسفة ومختلف المعارف التي ميزت تلك الحضارات لقرون عديدة. وبفعل هذا الإرث الحضاري، استطاعت السانسكريتية أن تصبح لغة تواصلية ليس فقط بين مختلف شعوب شبه القارة الهندية، ولكن كذلك في أجزاء أخرى من جنوب شرق آسيا. ونتيجة لهذا الانتشار وهذه الثقافة المشتركة بين كل من يستعمل السانسكريتية، نشأت أمة واسعة على هذا الأساس وارتبط أبناؤها عاطفيا بكل ما هو مشترك بينهم كما ارتبطوا ببعضهم البعض. ولكثرة ارتباطهم بالثقافة وباللغة التي تعبر عنها، خاصة وأن ضمن تلك الثقافة توجد نصوص دينية تؤطر الفكر والوجدان، فقد قعدوا نحوها لكي يحفظوها من عوامل التغير. ويُعد بانيني من أشهر نحاتهم، كما أن كتابه في نحو السانسكريتية ربما يُعد أول ما كتب في هذا الباب على الإطلاق. غير أن النحو إذا كان يستطيع حفظ اللغة المكتوبة من التغير، فإنه بالتأكيد لا يستطيع حفظ اللغة المنطوقة، مما يوسع الهوة بين اللغة الأدبية ولغة التواصل اليومي، وبين لغة الخاصة ولغة العامة. وهكذا، في لحظة معينة من التاريخ الوسيط، تحولت الكتابة الأدبية شيئا فشيئا من السانسكريتة إلى اللهجات المحلية. وقد لعبت بلاطات وقصور الأمراء المحليين دورا كبيرا في ذلك، مما أدى إلى عزل أبناء كل منطقة ثقافيا عن ذلك الفضاء الأوسع الذي كانت السانسكريتية ترسم حدوده. فتذوق الأدب المحلي دون غيره خلق رباطا وجدانيا

بين جماعة صغيرة وقطع الوصل بينهم وبين باقي مكونات الأمة التي لا تستطيع تذوقه أو تلك التي طورت لها أدبا محليا خاصا بها.

وما حصل للاتينية كذلك يجسد هذا التحول من المعيار إلى اللهجات في المجتمعات الازدواجية. فكما ذكرنا سالفا، كانت اللاتينية لغة الرومان في التاريخ القديم، فاستعملوها في الإدارة والآداب والفلسفة وغيرها من المعارف؛ ولما انتشرت المسيحية، أصبحت كذلك لغة للدين. وقد ساعد توسع الإمبراطورية الرومانية على انتشارها بين شعوب كانت لها لغاتها الخاصة، فتفوقت على تلك اللغات وجعلتها حبيسة التواصل اليومي. وعلى امتداد هذه الإمبراطورية الواسعة، كانت القراءة والكتابة باللاتينية علامة على الانتماء لذلك الفضاء السياسي والاجتماعي والثقافي الواسع وما ينطوي عليه من حضارة وقيم. وحينما ارتضت الإمبراطورية المسيحية دينا لها، أصبحت اللاتينية كذلك علامة على الانتماء إلى الأمة المسيحية ككيان متميز في أوروبا عامة، وفي الجزء الغربي منها خاصة. لكن بداية استعمال اللهجات التي انحدرت من اللاتينية قسمت هذه الأمة من الناحية اللغوية والوجدانية، مما نتج عنه ظهور قوميات وأقطار قسمت القارة على النحو الذي نشهده اليوم. ويذهب أندرسون (أنظر Anderson, 1991) إلى أن انتشار الكتابة والقراءة بهذه اللهجات بعد اختراع الطباعة خلق رباطا عاطفيا وفكريا بين من يستعملون كل لهجة، وفي نفس الوقت عزلهم جزئيا عن الجماعات الأخرى لعدم تتبعهم لما يكتب بلغاتها. وهذا الرباط العاطفي والفكري هو الذي أدى إلى ميلاد القوميات من رحم أمة واحدة. ولا شك أنه كان لدانتي وأمثاله ممن جاؤوا من بعده دورا كبيرا في هذا الأمر، كما سنرى بعد قليل.

يرى دانتي على أن اللهجات المتداولة في أوروبا الغربية على عهده تنقسم إلى ثلاثة فروع بحسب اللفظ الذي يقابل "نعم". فمنها من يستعمل "oc"، مثل اللهجات الإيبيرية، ومنها من يستعمل "oïl" وضمنهم تلك التي يتداولها الفرنسيون، ومنها من يستعمل "si" كتلك الموجودة في إيطاليا. وتجدر الإشارة إلى أن التمييز بين اللغات الأوروبية المعروفة اليوم لم يكن قد بدأ وأن الحدود بينها لم تكن واضحة المعالم. ولم تكن اللهجات الإيطالية كذلك تشكل مجموعة منفصلة عن باقي اللهجات المنحدرة من اللاتينية، بل كانت كلها تشكل متصلا واحدا. وفي مثل هذه الحالات، لا تولد اللغات بسبب ما تتميز به من أصوات أو معجم أو نحو أو صرف، بل تتبع في ذلك التقسيمات التي تحددها العوامل السياسية والاجتماعية وغير ذلك. وهذا ما تعبر عنه آراء دانتي بوضوح: يتساءل منذ البداية عن أي اللهجات الإيطالية ينبغي للشاعر أن يعتمدها في إبداعاته، فيبدأ بِعدّ ووصف مميزات أشهر اللهجات في زمانه. لقد لاحظ أن التنوع والاختلاف هو الطابع السائد بينها، بحيث أحصى ما يناهز 144 لهجة تختلف عن بعضها البعض في بعض السمات، وفي الغالب دون أن يعيق ذلك الاختلاف التفاهمَ المشترك بين متكلمي تلك اللهجات. ويبدو أن دانتي لم يكن مرتاحا لهذا التعدد، فهو يذكر كل

لهجة على حدة، يعدُّ محاسنها ومساوئها، ثم لا يلبث أن يبعدها لسبب أو لآخر. وحتى لهجة توسكانيا التي ينحدر منها هو، والتي كان أهلها يفتخرون بجمالها وعذوبتها، لم ير وجها لتميزها عن غيرها من اللهجات الإيطالية.

وإذا كان دانتي لم يجد لهجة واحدة تصلح أن تكون لغة أدبية، فإنه مع ذلك لم يستبعد أن تساهم كل واحدة من تلك اللهجات بمفردات أو عبارات أو تراكيب يستعان بها في التعبير. وفي مقابل ذلك، استثنى تلك التي توجد في تخوم إيطاليا مثل ترينطو "Trento" وتورين "Turin" والإسكندرية "Alessandria" لتأثرها باللهجات غير الايطالية، فيقول "**إنني لا أعتبرها لهجات إيطالية لفسادها بتأثير من اللهجات الأخرى**" (ص. 37). وهذا الرأي عادة ما يشترك فيه مقعدو اللغة عند سائر الأمم، ذلك أنهم يميلون إلى انتقاء الخُلّص من قومهم ليمثلوا جنسهم وثقافتهم، فيتميزون بذلك عن غيرهم. فاللغويون العرب، مثلا، لم يأخذوا اللغة إلا عمن كان خالصا في عربيته ولم يكن له اتصال بالعجم. ويبدو أن دانتي بدوره كان لا يروم البحث عن لهجة أدبية فقط وعلى أساس فني محض، بل كانت الاعتبارات القومية حاضرة، بل هي الدافع الرئيسي وراء ذلك البحث.

لماذا لم يجد دانتي أي لهجة يرتضيها أداة للإبداع العامي؟ يجيب بهذا الخصوص أنها لا تستجيب منفردة لشروطه، لكنها مجتمعة تستطيع أن تفعل ذلك. فاللغة الأدبية في نظره تتألف من كل اللهجات الإيطالية ما عدا تلك التي تتصل بلهجات شعوب أخرى؛ وبذلك، فهي لسان حال كل الإيطاليين عوض أن تكون خاصة بجهة أو قبيلة دون أخرى. فدانتي في نهاية المطاف لا يبحث عن شيء موجود، بل يريد أن يخلق لغة بانتقاء سمات لهجية متعددة وتوليفها بشكل جديد بحيث يرتضيه كل إيطالي. ويلاحظ في هذا الشأن أن مثل هذه اللغات عادة ما تولد بشكل طبيعي إذا ما وُجد بلاط يأوي الشعراء والمبدعين من مختلف أنحاء البلاد، فيمزجون بين لهجاتهم ولهجات غيرهم من الأدباء، إما من خلال الاتصال أو من خلال الاقتراض، حتى ينتهي بهم المطاف إلى إبداع لغة تعلو على اللهجات المحلية. وهذه اللغة هي التي تصبح لسان الأمة. وهنا، لا يكتم دانتي حسرته على انقسام إيطاليا إلى إمارات صغيرة عاجزة عن النهوض بالثقافة والآداب، ويذكر محاولته وفشله في تغيير هذا الوضع من خلال العمل السياسي الذي أدى به إلى المنفى خارج توسكانيا. ويبدو أن جهوده لخلق لغة أدبية إيطالية موحدة تندرج في نفس الاتجاه؛ فلعل ذلك يحقق ما فشلت السياسة في تحقيقه.

ومقارنة مع دانتي، ينطلق مسناوي من واقع سياسي مختلف بحيث أن الوطن المغربي حقيقة وواقع لا يحتاج لمن يوجده. فقد استقل البلد عن الخلافة العباسية منذ الأدارسة، وحكمته دول قوية، مثل المرابطين والموحدين، استطاعت أن تبسط نفوذها على شمال إفريقيا والأندلس وبعض إفريقيا جنوب الصحراء. وحتى عندما تمكن المستعمر من تقليص حجمه، إلا أنه ككيان بقي وجوده متواصلا لأكثر من اثني عشر قرنا. غير

أن هذا الوجود السياسي لم يضمن وجوده الثقافي، فبقي تابعا لما ينتجه الشرق العربي من أفكار وآداب وفنون وما إلى ذلك من أشكال الثقافة. وحده الأندلس استطاع أن يخلق مركزا حضاريا يضاهي مراكز المشرق العربي مثل دمشق وبغداد وغيرهما. لذلك نجد مسناوي يحاول تملك إرث الأندلس من خلال إدراج زجاليه، مثل ابن قزمان، ضمن الشعراء المغاربة. فهو يقول:

كان الزجال ابن قزمان، وكان ديوانه عتبه لسفر جديد، ف جنس أدبي جديد. وكانت شهادته بالأسماء للي سبقوه مثل الشيخ الأخطل بن نماره وابن راشد وغيرهم، تاتأكد مره اخرى قدم هذ الجنس من جهه، ومن جهه ثانيه تاتأكد بأن جذوره مغربيه أندلسيه، أندلسيه مغربيه، ومن تمه كانت للدارجه المغربيه الرياده ف هذ المجال قبل غيرها بقرون. (ص. 31)

ولعل في هذا الاستنجاد بالأندلس وبشعرائها اعتراف ضمني بتفوقهم، وفي نفس الوقت، اعتراف كذلك بضعف الثقافة المغربية؛ فلطالما عُرف البلد كموطن للفقهاء أكثر مما اشتهر بأدبائه. ومما لا شك فيه، فإن هذه الفقرة ومثيلاتها في الكتاب تعبر عن غيرة مسناوي على بلده ورغبته في الإعلاء من شأن ثقافته. فإن كان وجود الوطن مضمونا على عكس ما كانت عليه إيطاليا على عهد دانتي، فإن مكانة ثقافته تحتاج لمن يثبتها وينميها حتى تتبوأ منزلة محترمة بين الأمم عامة، وبين الأقطار العربية خاصة.

وإذا كان دانتي منشغلا بالتنوع اللغوي في إيطاليا وبتعدد لهجاتها، مما تطلب منه البحث عن لغة واحدة وموحدة للآداب والأمة الإيطالية، فإن مسناوي بدوره يشير لبعض الاختلافات اللهجية في المغرب لأسباب مشابهة. فهو يتساءل: **"ما تاتشوفش أن اللغة الدارجة مقسمه للهجات؟"** فيجيب:

التقسيم اللي يمكن نسجلوه هو تقسيم سياسي لا أقل ولا أكثر كما حصل للغة الأمازيغيه، بحيث أن كل منطقه تاتستعمل ما طاب لها م المفردات اللي تايزخر بهم المعجم. واحد تايحلى له يقول مثلا أجي، لاخر تايفضل يقول تعالى، كما أن الثاني تايحلى له يقول نوض والأول تايفضل يقول أوقف. والأمثله ف هذ الصدد كثيره ... (ص. 37)

إن مسناوي هنا يقفز على الواقع، وكأنه لا يذكره إلا ليتجاهله. فاللهجات المغربية كثيرة ومتنوعة، ولا يقتصر تنوعها على المعجم فقط، بل يمتد إلى الأصوات والصرف والتراكيب، شأنها في ذلك شأن باقي اللغات الحية. بل إن بعض اللهجات المغربية قد تختلف كثيرا عن بعضها حتى ليصعب معها التفاهم المشترك بين متكلميها، كما هو الحال بين لهجات الشمال ولهجات الجنوب المحاذية لموريتانيا. ثم إن ربط هذا التنوع بالسياسة غير مفهوم على الأقل للوهلة الأولى؛ فالسلطة السياسية لا تستطيع أن تخلق مثل هذا التنوع مهما ارتفعت درجة تحكمها في حياة الناس. فالاختلافات التي تعرفها اللغة الأمازيغية، مثلا، نتجت عن عوامل التاريخ وقلة التواصل بين الجماعات الأمازيغية المنتشرة من شمال البلاد إلى جنوبها. ثم إن الحديث عن ثلاث منوعات

أمازيغية يفتقد إلى الدقة، إذ أن هذه المنوعات في الحقيقة تشكل متصلا بحيث تقل الاختلافات كلما تقلصت المسافة الجغرافية بين جماعتين، وتكثر كلما اتسعت تلك المسافة بينهما. وهذا الأمر لا يختلف كثيرا عن حال الدارجة المغربية. لكن مسناوي ربما كان منشغلا بوحدة الوطن؛ فتهديد التقسيم همَ يتقاسمه المغاربة منذ الاستعمار، ولا شك أن مسناوي يعي أن اعتماد الدارجة لغة للإبداع الأدبي المكتوب قد يشجع الولاءات المحلية أو الجهوية ويغلبها على الولاء للوطن. وربما لذلك قفز على الاختلافات اللهجية بسرعة ليقلل من شأنها.

وفي مقابل ذلك، فإنه يؤكد اختلاف الدارجة المغربية عن غيرها من الدوارج العربية، بل أفضليتها على كل تلك اللهجات. فهو يتساءل: **"فين تاتحط الدارجه المغربيه بالمقارنه مع دارجات الأقطار العربيه؟"** ويجيب: **"بدون أي احساس شوفيني، الدارجه المغربيه أخصب وأرقى وأنقى وأفصح وأسهل دارجه عربيه على الإطلاق"** (ص. 36). ولتفسير هذه الدعوى التي لا شك أنه كان يعي قوتها، أردف قائلا:

> **وما تانقولش هذا من باب العاطفه، اللي حاول يبحث ف معجمنا المغربي وف دواوين ومخطوطات الملحون وفالأمثال الشعبيه وفالبنيات المسكوكه مثلا، غيكتشف ويتأكد من مدى ثراءها ورقيها، ماشي لكونها كانت رائده فالزجل، بل لكونها أقرب دارجه للغة العربيه المعربه (نطقا واعرابا ومعجما)**. (ص. 36)

وهو كذلك يشيد بجمالها وسحرها، ويؤكد بأن الزجل قادر على تجسيد هذا السحر وهذا الجمال. بطبيعة الحال، لا يجب أن نزن أقوال مسناوي ودانتي بميزان المبادئ والنظريات اللسانية المعاصرة، فهذا سيكون مجانبا للصواب وفهما خاطئا لمهمة الرجلين؛ فهما لا يسعيان إلى الفهم والتفسير، بل إلى التشييد والبناء، تشييد هوية شعبهما وبناء ثقافته التي تؤسس لتلك الهوية. لقد كتب اللغوي الأمريكي فيرغوسن مقالا سنة 1959 عن المواقف الشائعة من العربية أسماها "أساطيرا"، ومن بين هذه الأساطير اعتقاد كل جماعة عربية بأن دارجتها أقرب إلى الفصحى. وحينما يعتقد كل عربي بهذه الفكرة، فإنه أولا يميز نفسه عن غيره من العرب الذين لا يتحدثون عاميته، وثانيا يحاول الاستفراد بفضل الفصحى دون غيره. وما يفعله مسناوي بهذا الخصوص لا يختلف عما تزعمه باقي الشعوب العربية بشأن أفضلية لهجتها على لهجات غيرها. قد يكون مخطئا من الناحية اللغوية المحضة، لكنه بالتأكيد يساهم في بناء الثقة بالدارجة لدى المغاربة، هم الذين كانوا دائما يستصغرون لهجتهم ويفضلون المصرية أو السورية عليها.

لكن مسناوي ودانتي لا يكتفيان بما هو موجود من اللهجات وسيلة للإبداع الأدبي، بل سعيا إلى خلق لغة أدبية فصيحة تعلو على كلام العامة وتليق بالأدب الراقي غير المبتذل، وهذا ما سنتطرق إليه في الفقرة الموالية.

4- في طبيعة الدارجة الفصيحة

يتفق مسناوي ودانتي على أن الدارجة التي تستحق أن تكون وسيلة للإبداع العامي ليست هي نفس الدارجة المتداولة بين عامة الناس في حياتهم اليومية. وهذا الاتفاق ليس صدفة، إذ أن نوع الأدب الذي يعملان على تطويره لا يستهدف الفئات غير المتعلمة التي قد تكتفي بما هو مبتذل، بل يستهدف بالأساس الفئات ذات الذوق الرفيع. وكما سبق بيانه، فهما يحملان مشروعا لبناء ثقافة وطنية قد لا تكون بالضرورة بديلا عن الثقافة التي تعبر عنها اللغة الفصحى، لكنها حتما توفر بديلا موازيا يميز شعبهم عن غيره من الشعوب التي يشتركون معها في تلك الفصحى. لذلك نجد دانتي ينتقي ما يعتبره أجودا في كل لهجة إيطالية ليضمها إلى لغته الإيطالية التي يخلقها خلقا بهذا الانتقاء والجمع والتوليف. أما مسناوي، فإنه ينهج سبيلا مخالفا في صنع دارجة أدبية فصيحة.

بعد أن انتهى مسناوي من التأكيد على ضرورة الكتابة بالدارجة وتطويرها وتطويعها، أضاف بوضوح بأن **"اللغة اليومية ماشي هي لغة الكتابة"** (ص. 39). فأي لغة هذه، إذن، ومن أين جيء بها إذا كان كل ما هو موجود لحد الآن هي لهجات متداولة في مختلف الجهات من قبل مختلف الفئات الاجتماعية؟ بهذا الخصوص، يجيب مسناوي: **"تايتعين علينا نتعلموها، نغوصوا فيها، نتعمقوا فيها، نسافروا فيها. نفرتتوها ونجمعوها ثم نعجنوها حتى نتمكنوا نروضوها ونطوعوها شكلا ومضمونا."** (ص. 36) وهكذا يتضح أننا لسنا بصدد لغة موجودة، بل نحن أمام مشروع لصنعها وتشكيلها انطلاقا من عناصر موجودة وأخرى سيتم نحتها بحسب الحاجة. وباعتبار اشتغاله بالزجل، فإن مسناوي يوكل هذه المهمة الجليلة بالزجال فيقول: **"خيال الزجال قادر أكثر من غيره يقوم بهذ العمليه، أي قادر يستخرج منها العجب، بمعنى قادر يعاود تركيبها وصياغتها ف قوالب جديده."** (ص. 36) وهو إذ يعترف بأن **"مهمة الزجال كانت صعيبه وغتبقى صعيبه وشاقه"**، إلا أنه يؤكد بان **"هذا ما تايعنيش التراجع والاستسلام. الساهله تحلى والصعيبه لو تدري أحلى وأحلى بكثير."** (ص. 37) فالأدب والأدباء، إذن، هم وحدهم القادرون على صنع هذه الدارجة المتوخاة، وهو لا يذكر النحاة واللغويين إلا نادرا في علاقة مع هذه المهمة الجسيمة، وفي هذا يلتقي مع دانتي. فكلاهما يسلم ضمنيا بأن التقعيد يشتغل على ما هو موجود، في حين أن غاية الأديب والشاعر على الخصوص هي الإتيان بما هو جديد.

ويشير مسناوي إلى عقبتين تقفان أمام تحقيق هذا المشروع. تتعلق الأولى بالمواقف السلبية من الدارجة، أي **"أننا تانستخفوا بدارجتنا، بدعوى أنها محدودة المعجم وغير علميه."** ثم يرد على هذا الرأي بقوله: **"الاستخفاف بدارجتنا يبقى أكبر ذنب تاريخي يحاسبنا عليه الزجل المغربي. هذ الاستخفاف اللي هو ناتج عن جهلنا وتجاهلنا للدارجه وما تتحمل به من كنوز، وكذلك لعدم درايتنا بتفريخها"** (ص. 37). لا

غرابة في هذا الأمر، فقد مر بنا في الحديث عن خصائص الازدواج أن المنوعة الدنيا يُنظر إليها بكثير من الازدراء، مقارنة مع المواقف التي تعلي من شأن المنوعة العليا في كل حالات الازدواج التي ذكرها الدارسون. ومع ذلك، نلاحظ اختلافا بين مسناوي ودانتي بخصوص هذه النقطة. فإذا كان مسناوي يعترف بدونية الدارجة بين معاصريه، فإن دانتي يكاد لا يذكر مثل هذه المواقف. ومرد هذا الاختلاف ربما هو اختلاف في الدور الاجتماعي للتربية والتعليم في المجتمعات الوسيطة والمعاصرة. فإذا كانت الأولى لا توفر مناصب شغل كثيرة للمتعلمين في مناصب الدولة، ولم تسمح كثيرا للرقي الاجتماعي على هذا الأساس، فإن الدولة المعاصرة، وحتى المتخلفة منها، تحتاج إلى آلاف المتعلمين للقيام بالمهام التي يتطلبها سير الإدارات والمدارس والجامعات. ولذلك، فإن الأمية في المجتمعات الوسيطة كانت أعلى مما هي عليه الحال في المجتمعات المعاصرة. وإذا صح هذا الأمر، فلا غرابة أن تكون المواقف سلبية من الدارجة في العصر الحديث لأنها لا تتيح لصاحبها الالتحاق بالفئات المتوسطة أو العليا في حين أن الفصحى تمكنه من ذلك.

أما العقبة الثانية التي تقف أمام تطوير دارجة فصيحة حسب مسناوي فهي جهل المبدعين بها، ف **"ماشي كل من تايكتب باللغة الدارجه معنى هذا أنه تايتقنها**؛ أي **متمكن م المعجم"** (ص. 38). يتضح، إذن، أن اللغة المكتسبة من المحيط لا تكفي ولا تفي بالأغراض المتوخاة منها، بل لا بد من كثرة الاجتهاد والاشتغال، ليس فقط على صقل الموهبة، فذلك شأن يتعلق بالمبدع دون غيره، ولكن كذلك على التنقيب عن ألفاظ قديمة تم نسيانها أو نحت أخرى جديدة ترتقي بالذوق وتعبر عما يجول بالخاطر. وأكثر ما يستهجنه مسناوي ودانتي معا هو اللغة الساقطة والذوق الوضيع. واللغة **"السقيمه هي لغه رديئه ساقطه بحكم أنها لقيطه ما عندها لا أصل ولا مفصل، لا أغصان ولا جذور بحرى ننتظروا منها تزهر وتعطي الفاكيه**." (ص. 47) إن لمسناوي شروط وأوصاف كثيرة للغة الأدبية، غير أنه يعبر عنها بأسلوب أدبي غامض يصعب على من لم يألفه أن يدرك فحواه. فهو يقول مثلا:

> **احنا ف حاجه للغه طامحه، قادره تفسر الكون، تقرب العلوم، تسائل الإنسان والوجود، تستجب للأذواق، تفك الألغاز. للغه شفافه، هامسه، متناسقه، متناغمه، متجانسه، ومتكامله فنيا وجماليا. اللغه المقنعه اللي تحقق التواصل وتعبر على أغراض واضحة المعالم**. (ص. 47)

لكن مهما كانت هذه العبارات غامضة، فإن المستفاد منها هو أن لغة الأدب عليها أن ترقى على اللغة اليومية، وهي لا تستطيع أن تفعل ذلك إلا إذا طوعها الأديب وأغناها.

ويشترط دانتي بدوره أوصافا وخاصيات لا بد أن تتوفر في العامية الأدبية، وهي أن تكون **لامعة ومركزية وملكية وعادلة**، مع العلم أن هذه المفردات العربية قد لا تطابق تماما أوصاف دانتي. إن المراد باللمعان هو ذلك النور الذي تتلقاه وتعكسه على مستعمليها. فهي تتلقى النور من الحاكم وتعكس عدل وكرم

هذا الحاكم، والعلم والمعرفة التي ينشرها. وهي لامعة كذلك لأنها ترتقي عن الألفاظ والعبارات الساقطة التي ترتبط بالعامة وباللهجات الوضيعة. ولأنها مركزية كذلك، فهي تأثر إيجابا في تلك اللهجات فتجرها نحوها وترتقي بها في أي اتجاه اتجهت مثلما تدور دفة الباب على محورها. وهو لا يخفي دور البلاط، كما أسلفنا، في هذه المهمة؛ ولذلك يضيف صفة ثالثة هي صفة الملكية. فالبلاط هو الذي ينهض باللغة من خلال تشجيع المبدعين على اختيار الألفاظ التي تناسب المقام الرفيع الخاص بالأمراء وحاشيتهم وخاصة القوم عموما. فعندما ينعدم البلاط، تنفرد كل جهة بلهجتها، ولا تتكون تلك الخاصة من القوم الذين يعنون بالذوق الرفيع، فيتفشى استعمال العبارات والألفاظ المنحطة، وهذا بالذات ما كان يؤرق دانتي. إضافة إلى ذلك، فالعامية الأدبية عادلة كذلك لا لأنها تستطيع أن تحقق العدل بذاتها، فذاك محال لأنها مجرد أداة للتعبير، ولكن لارتباطها بحاكم عادل فتستمد تلك الصفة منه لأنها متداولة في محيطه. يظهر من هذه الشروط أن دانتي لا يرى في اللغة مجرد وسيلة للإبداع الأدبي، بل كذلك انعكاسا لوحدة مؤسسات الدولة وقيمها السامية. وهو إذ يسعى إلى تطوير تلك الوسيلة، يتمنى كذلك أن يوجد بعض الشروط الضرورية لبناء تلك الوحدة. فالعامية الإيطالية بالنسبة له هي التي تعكس تنوع اللهجات الإيطالية دون أن تمتلكها جهة دون أخرى. وإذا كانت هذه اللغة واقعا اليوم، فيجب أن لا ننسى أنها كانت مجرد حلم عند دانتي. والإيطاليون يشعرون بهذا الفضل، ولذلك لا زالوا يعتبرون لهجة توسكانيا، بلد دانتي، أجمل وأرقى اللهجات، وإن لم يعتبرها دانتي نفسه كذلك.

إن دانتي ومسناوي وأمثالهما مبدعون حالمون؛ ولأنهم يأخذون أحلا مهم على محمل الجد، فإنهم غالبا ما ينجحون في تحقيقها. وإذا كان هذا قد حصل مع دانتي حيث استقلت اللغة الايطالية عن اللاتينية، فإن مسناوي لا زال يصارع دونية الدارجة المغربية بدون كلل ولا ملل، ولا ندري ما ستؤول إليه الأمور في المستقبل. لا زالت العربية الفصحى تستأثر بالنفوس، ولا زال الانتماء إلى الأمة العربية يستولي على الوجدان، لكننا نجهل ماذا سيكون رأي الأجيال الجديدة في هذا الشأن.

5- في علاقة الدارجة بالمعيار

في حالة الازدواج اللغوي، حيث الوظائف اللغوية موزعة بين المنوعتين العليا والدنيا، لا يمكن لأي محاولة لمراجعة ذلك التوزيع أن تمر دون أن تسترعي الانتباه. إن مثل ما أقدم عليه دانتي ومسناوي لابد أن يُنظر إليه، سواء من المعاصرين أو من المؤرخين، كنوع من الثورة. فمترجم " De Vulgari Eloquentia"، Steven Botterill مثلا، يرى في قول دانتي بأن الإبداع بالعامية أرفع وأنبل من الإبداع بالفصحى يشكل لحظة تاريخية في الثقافة الغربية إذ أنه بمثابة إعلان عن استقلال العاميات عن اللاتينية. غير أنه من وجهة نظر مقارنة، لابد من التحفظ قبل إصدار مثل هذه الأحكام المطلقة باعتبار أن العامية والفصحى

تستمران في التفاعل مع بعضهما البعض بطرق متشعبة ومعقدة غالبا ما تحددها قوانين الاجتماع، كما سنمثل لبعض منها بعد قليل.

كما مر بنا آنفا، ركز دانتي كثيرا على اللهجات الإيطالية في محاولة منه لانتقاء الصفات والألفاظ والعبارات التي تليق أن تصبح جزءا من الدارجة الفصيحة، ونادرا ما نجده يفضل ألفاظا أو عبارات لقربها من مثيلاتها اللاتينية. فهو، مثلا، يفضل اللهجات المدنية على تلك التي تسود في القرى والجبال لارتباط الأولى بالحضارة والذوق الرفيع في حين أن الثانية تعكس قسوة عيش أهلها وقلة اكتراثهم بالأمور الثقافية. ومن ناحية أخرى، يميل دانتي إلى اللهجات الذكورية ويفضلها على تلك التي اكتسبت طابعا أنثويا لسبب أو لآخر. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأوصاف لا تعكس حقائق في الواقع، بل هي مثل كل المواقف اللغوية، مسألة ذاتية عادة ما تستمد من صفات الجماعة التي تستعمل تلك اللهجات. فعندما يتصل البدو بالحضر، مثلا، عادة ما يُنظر لكلام البدو على أنه خشن وذكوري في حين يُعتبر كلام الحضر ناعما أو أنثويا. وعندما يستبعد دانتي اللهجات التي يعتبرها أنثوية، فإن ذلك يدل على وجود جماعة، من المرجح أنها كانت حضرية، اشتهرت بين الإيطاليين بهذه الصفة.

وكما هو الأمر بالنسبة للعربية، فإن دانتي يذكر أن بعض اللهجات كان أهلها يفتخرون بأنها أقرب من غيرها إلى اللغة اللاتينية المعيار. وإذا كان دانتي يحجم عن التعبير عن رأيه بداية بهذا الخصوص، فإننا نجده لاحقا يحط من شأن هذه الصفة. فعند ذكره لساردينيا، مثلا، نجده ينفي أن يكون لأهلها لهجة خاصة بهم "**لأنهم يقلدون اللغة المقعدة كما تقلد القرود الآدميين**." (ص. 27) ها هنا اختلاف واضح بين مواقف الإيطاليين في العصر والوسيط وبين العرب المعاصرين: فإذا كان العرب، كما سبق أن رأينا، يعتبرون كل شبه بين لهجاتهم وبين الفصحى ميزة تُعلي من شأن تلك اللهجات وشرفا ما بعده شرف، فإن معاصري دانتي على ما يبدو لم يكن لهم هذا الرأي، بل إن دانتي يعتبره من المساوئ. ولذلك لا نجده يحبذ كثرة الاقتراض من اللاتينية لتفصيح العامية الإيطالية.

وعلى العكس تماما من دانتي، لا يرى مسناوي بدا من الاستعانة بالعربية الفصحى للرفع من مستوى الدارجة والرقي بها عن ابتذال كلام العامة. تجدر الإشارة هنا إلى أن المواقف السلبية من كلام العامة متجذرة في تاريخ الثقافة اللغوية العربية. فالتأليف في لحن العوام يمتد من الكسائي في القرن الثاني الهجري، مرورا بابن السكيت والزبيدي وغيرهما، إلى جورجي زيدان وما تلاه من المؤلفين في الأخطاء الشائعة في العصر المعاصر. فكما أوضحنا في الفقرة الأولى، يميل العرب إلى اعتبار لهجاتهم مجرد فوضى لا قواعد لها ولا نظام يحكمها، كما أن ألفاظها وعباراتها مبتذلة لا تليق إلا بكلام السوقة والرعاع، مع العلم أن هذه اللهجات هي وسيلة التواصل بين عامة القوم وخاصتهم منذ سالف العصور. فمسناوي، إذن، محكوم بهذا الجو الثقافي

العام وهو يشعر بأنه ملزم أن يسايره ولو جزئيا إن أراد أن يتفادى النقد والمعارضة. ولذلك نجده يعتبر الدارجة المغربية أقرب اللهجات العربية من الفصحى وكأن أهليتها للإبداع تُستمد أساسا من ذلك القرب. فسواء كان يعتقد حقا بهذه الفكرة أم لا، لا شك أن قارئه سيعتبرها حجة مقنعة باعتبار ما ذكرناه.

إن الدارجة الفصيحة عند مسناوي هي "**اللغه اللي تاتناسل مع الفصحى، ومع جميع اللغات والثقافات حتى تكبر ف كبرها وتزيد تتوسع أكثر**." (ص. 46) بعبارة أخرى، إن الدارجة الأدبية مطالبة بالاستعانة بالعربية الفصحى باقتراض معجمها ومحاكاة عباراتها لكي تصبح غنية وتلبي حاجيات المبدعين. وفي موضع آخر يصرح بما يلي:

> **واذا كان حاليا بعض الزجالين المغاربه تايقحموا كيف تتقول نصوصهم ببعض الكلمات العربيه الفصيحه والصحيحه، تانعتقد شخصيا أن هذه الظاهره صحيه وهي من شروط الكتابه الزجليه من حيث أن هذا لأخيره تاتفرض علينا أننا نرقاو باللغه. وهذ الرقي ما يمكن يتم ك قلت ف عدة مناسبات إلا إذا صفينا اللغه من كل النواقص والشوائب من جهه، ومن جهه ثانيه أننا نعملوا على تطعيم كتاباتنا الزجليه ببعض المصطلحات والكلمات اللي بدت تاتسرب هي بنفسها بلا إذن منا أو من غيرنا لمعجمنا بطريقة أو بأخرى** (ص. 46).

بطبيعة الحال، لا ينبعث هذا الرأي من فراغ، فالمتعلمون العرب عامة - والمغاربة ليسوا استثناء - يعتمدون على معرفتهم بالفصحى للتعبير عن أغراض قد لا يجدون في لهجاتهم ألفاظا وعبارات مناسبة لها. كما أن الفصحى تعبر عن المستوى التعليمي والثقافي والاجتماعي للمتكلم بحكم أن القلة فقط هي التي تتاح لها الفرصة لمتابعة تعليمها. وقد ذهب بعض اللغويين، مثل عبد الرحيم يوسي (أنظر Youssi, 1983)، إلى أن لغة المثقفين المغاربة تشكل منوعة وسطى بين الفصحى والدارجة، وأن اختيارها عوضا عن المنوعتين الأخريين تحكمه قيود اجتماعية من قبيل موضوع وسياق الحديث ومستوى المتكلم والسامع وما شابه ذلك. وبناء على هذا التحليل، تكون الدارجة الفصيحة التي يدعو إليها مسناوي هي هذه العربية الوسطى في عمومها. وهذا التشابه بين تحليل اللغوي ودعوة المبدع يدعم ما ذهبنا إليه سابقا بأن ما يهدف إليه مسناوي هو خلق إبداع أدبي راق وثقافة عالمة تعتمد الدارجة وسيلة للتعبير. وهذا ما يميز الأدب العامي المكتوب عن مقابله الشفوي؛ فهذا يستهدف غير المتعلمين الذين لا دراية لهم بفك رموز الكتابة في حين يتطلب ذاك إلماما بآليات الخطاب المكتوب وأعرافه. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن التمكن من الدارجة الوسطى تستلزم إلماما ولو جزئيا بالفصحى، أدركنا كذلك أن الأدب الذي يدعو مسناوي إليه ليس شعبيا تماما ما دام أولائك الذين ليست لهم معرفة كافية بالفصحى لن يتمكنوا من تذوقه.

من جهة أخرى، نجد مسناوي يدعو إلى البحث عن ألفاظ وعبارات عامية قديمة وخاصة في اللهجات البدوية التي لم يتأثر أهلها كثيرا بالفصحى. ووجه هذه الدعوة أن تلك الألفاظ والعبارات توافق ما هو موجود في الفصحى وإن كان مستعملوها يجهلون ذلك. من ذلك، مثلا، أن بعض القبائل لا زالت تقول "المزن" و"اليم" و"الشفق" و"شط الغابة" وغيرها. فوجود هذه الأمثلة وغيرها في الدوارج المغربية كاف لاستعمالها في الدارجة الأدبية وإن لم يكثر ورودها في اللغة الوسطى. فهذا الموقف، إذن، لا يختلف عن التوجه العام الداعي إلى الاعتماد كثيرا على الفصحى للرقي بالدارجة إلى مستوى لغة أدبية.

وفي مقابل شرعية الاقتراض من الفصحى، نجد مسناوي يرفض استعمال الكلمات ذات الأصل الفرنسي أو الإسباني أو غيرهما حتى وإن كانت متداولة بكثرة بين المغاربة. وبهذا الخصوص يقول: **"وتاتبقى مع الأسف الشديد مجموعه م الكلمات الأخرى اللي مازاله متداوله بين عامة الناس بما فيهم حتى المثقفين والمعربين منهم، مثلا: فيسته، ديسير، موتور، گراج، فورشيته..."** (ص. 60)، فوجود مثل هذه الألفاظ الأجنبية، في نظره، يؤسف له أشد الأسف، وهذا موقف سائد عند الإيديولوجيين المغاربة الذين ربطوا دائما بين اللغات الأجنبية والاستعمار. ويفهم من هذا الموقف أن الدارجة الفصيحة عليها أن تستغني تماما عن مثل هذه الألفاظ وتعويضها بمقابلاتها العربية، فصيحة كانت أو دارجة.

لماذا اختلف مسناوي ودانتي كثيرا بخصوص اللغة الفصحى أو المعيار؟ لا شك أن هذا الاختلاف لا يمكن رده إلى ميولات شخصية محضة، فالدلالات الاجتماعية القوية للمنوعتين العليا والدنيا في حالة الازدواج لا تسمح كثيرا بالآراء الفردية المتطرفة. لذلك، لابد من إمعان النظر في تلك الدلالات ذاتها. وبهذا الخصوص، سبق أن ذكرنا دور التعليم في الترقي الاجتماعي وميزنا بين المجتمعات المعاصرة التي تشجع الترقي على هذا الأساس وبين المجتمعات الوسيطة التي لم تكن تشجع كثيرا على ذلك. وبناء على هذا الاختلاف، لاحظ دارسو العربية المعاصرة، مثلا، أن الاقتراض من الفصحى نحو الدارجة مسموح به ومحبذ في حين أن اقتراض ألفاظ وعبارات عامية نحو الفصحى غير مسموح به وعادة ما يبعث على الضحك أو السخرية (أنظر Ech-Charfi, 2016). أما في المجتمعات الوسيطة، فإن العكس هو الذي يحصل، أي أن اقتراض المفردات والعبارات العامية نحو الفصحى كان شائعا في حين لم تعرف العاميات كثرة الاقتراض من الفصحى. فموقف دانتي، إذن، كان يعكس موقف الأغلبية الساحقة التي لم يكن لها إلمام واسع باللاتينية في زمانه مثلما يعكس موقف مسناوي مواقف الطبقة الوسطى المغربية التي تطمح إلى التميز والرقي الاجتماعي من خلال معرفتها بالفصحى.

ومع ذلك، فإن مسناوي ودانتي يلتقيان في تمييزهما للعامية عن الفصحى وإعطائها دورا هاما في الثقافة المكتوبة العالمة. إن الاعتماد على الفصحى الذي يشجع عليه مسناوي لا يؤثر كثيرا في مشروعه لبناء

دارجة فصيحة، بل يجعله من الناحية الواقعية ممكنا. إن ما يعاب عادة على الدارجة هو ارتباطها الوثيق بالفئات الأمية ومعيشها اليومي الذي لا تجد فيه النخبة أي جمال أو شعرية. ولذلك، فإن الفصحى توفر المعين الذي لا ينضب من الأدوات والوسائل التي يعتبرها المغاربة راقية فتبعد الدارجة عن المجالات اليومية العادية المبتذلة والخالية من كل شعرية. ومن أبرز هذه الأدوات التي تزخر بحمولات ثقافة مصطلح "لغة" ذاته. يعتبر هذا اللفظ عند كافة العرب المعاصرين نقيضا مباشرا للفظ "لهجة"(أنظر الشارفي، 2017) ؛ فالأول يحيل على المعيار والثاني على المنوعات الشفهية الغير ممعيرة. لكن مسناوي يعتبر الدارجة لغة في عبارة "اللغة الدارجة" التي تتكرر باستمرار في "أسئلة السفر". وهذه العبارة في ذاتها تلخص دعوته إلى جعل الدارجة أداة للأدب المكتوب. فهو يعي تماما تلك المواقف السلبية من الدارجة؛ وعندما يسميها لغة، فهو يعبر عن رفضه لتلك المواقف ويضع الدارجة على قدم المساواة مع الفصحى. وأكثر من ذلك، فهو يعترف لها بوجود مستقل عن الفصحى. إن المنوعات لا تستقل عن متصلاتها إلا بفعل الممارسة الاجتماعية والثقافية والسياسية، وعندما تكتسب اسما، فإن ذلك عادة ما يكون إعلانا عن ميلادها.

خاتمة

إن وضعية الازدواج اللغوي تفرض الشروط الموضوعية التي يتعامل معها المبدعون. فوجود فصحى لا يتكلمها أحد عن سليقة تعزل جزءا كبيرا من المجتمع عن الحياة الثقافية، كما أن المبدع بدوره يساهم في نخبوية الأدب عندما يختار الكتابة بالفصحى. وهذا الوضع هو الذي يستدعى الثورة عليه من قبل مبدعين أمثال مسناوي ودانتي، وهو الذي يفسر كثيرا من نقاط الالتقاء بينهم. أما نقاط الاختلاف، فإنها ترجع بالأساس إلى الوضعية السوسيولغوية التي يعيشون فيها، أي إلى الأدوار التي تُناط بالفصحى وبالدارجة في كل مجتمع. فاللغة الأدبية بالنسبة لهؤلاء لا يمكن أن تعبر عن المعاني المطلوبة إلا إذا كانت طبيعية، أي أنها تُكتسب وتُتداول من غير حاجة إلى معلم أو إلى كتب النحو. غير أن هذا الشرط الإبداعي عادة ما يرتبط بالسياسة والثقافة والاجتماع؛ وإذا ما طبق، فإنه يحدث ثورة في باقي المجالات. إن فضل مسناوي ودانتي يكمن في تعاملهما الصادق مع وضعية الازدواج التي عاشا فيها، واختيارهما للوسيلة الأبسط للتعبير عن مقاصدهما؛ وفي هذا الاختيار يكمن سر تميزهما.

المراجع العربية

أحمد الشارفي: **اللغة واللهجة مدخل للسوسيولسانيات العربية**. منشورات كلية علوم التربية بالرباط 2017

إدريس أمغار مسناوي: **أسئلة السفر أو سفر الأسئلة**. المطبعة السريعة: القنيطرة – المغرب، الطبعة الثانية 2016

جلال الدين السيوطي : **المزهر في علوم اللغة وأنوعها**. ضبطه وصححه ووضع عناوينه فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية: بيروت

المراجع الأجنبية

Anderson, B. (1983/1991). *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. London/New York: Verso.

Dante, A. (1996). *De Vulgari Eloquentia*. Edited & translated by Steven Botterill. Cambridge: Cambridge University Press.

Ech-charfi, A. (2016) *The Standardization of a Diglossic Low Variety: the case of Moroccan Arabic*. Saarbrucken: Scholars' Press

Ferguson, C. A. (1959a). Diglossia, in Giglioli (ed.) (1972), *Language and social context*. Harmondsworth: Penguin, pp. 230-251

Ferguson, C. A. (1959b) Myths about Arabic. In J. Fishman (ed.) (1968), *Readings in the sociology of language*. Mouton: The Hague, pp. 375-381

Ferguson, C. A. (1991) Diglossia revisited. *Southwest Journal of Linguistics 10*, pp. 214–34.

Pollock, S. (2006) *The language of the gods in the world of men : Sanskrit, culture, and power in premodern India*. University of California Press Berkeley and Los Angeles, California

Suleiman, Y. (2003*). The Arabic Language and National Identity: A Study in Ideology*. Edinburgh: Edinburgh University Press.